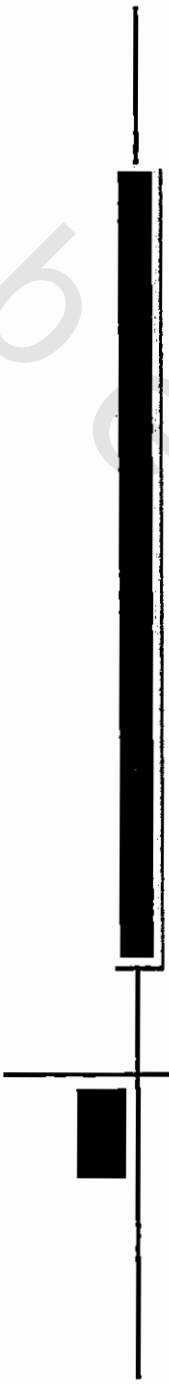

الفصل الثالث

التدخل الغربي لصالح إسرائيل

obeikan.com

obeikan.com

تدخل الولايات المتحدة والدول الغربية لصالح إسرائيل

ولكن ما إن بدات المعارك حتى تدخلت الولايات المتحدة واستصدرت قرار حظر تصدير الأسلحة للمتحاربين، وكانت تعنى العرب وحدهم، وتذرعت بريطانيا للقرار ولم تف بأى وعد .

وبدأ البحث المحموم عن الأسلحة بعد أن ثبت شدة المعارك وضراوة العدو ، وكان أول ميدان اتجه إليه البحث هو الصحراء الغربية والمخلفات القديمة التى تركتها جيوش الحلفاء والمحور ، وكانت تجارة رابحة يقوم بها البدو وسماسرة الأسلحة و« الخردة » ، وتألفت هيئة عسكرية من كبار الضباط للتنسيق مع البدو ، وكانت التجربة عقيمة وضاعف من سوءاتها أن امتد الفساد إلى بعض الضباط المسئولين عن المهمة وامتدت أيديهم إلى الأموال التى خصصت للشراء .

وتلقت القوات المسلحة المصرية فى ذروة معاركها أسلحة غير صالحة ومتخلفة وذخائر فارغة بقى الكثير منها فى الصناديق والمخازن حتى نهاية الحرب [1] .

أشار الكاتب إلى الدور الذى قامت به الولايات المتحدة فى تدعيم إسرائيل بالأسلحة والمعدات العسكرية .

على خلفية الثلج الأبيض الذى غطى ميناء « نيوجرسى » فى الولايات المتحدة ، ظهرت المدخنة لسفينة الشحن « أكزكوتور » كرسم ساذج من قصص نوادر الأطفال .

وقف القبطان على الجسر وتابع شحن الشحنة التى احتوت على ٧٧ صندوقاً كانت على وشك التوجه الى (أرض إسرائيل) ، كان مكتوباً فى وثائق الشحنة أن الصناديق تحتوى على مستحضرات كيماوية لأغراض الصناعة والزراعة ، كان

(١) محمد عودة ، كيف سقطت الملكية فى مصر ؟ فاروق بداية ونهاية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢ ص ١٧٢ .

هناك فعلاً مستحضرات كيماوية ، لكن كان هناك أيضاً شيء آخر : صناديق معدنية احتوت على مواد متفجرة مهمة لإنتاج الأسلحة والذخائر .

بعد فترة بعد حادث « أكزكوتور » ، هبطت فى نيويورك « جولدا مئير سون » (مائير) ، رئيس القسم السياسى للوكالة ، صحف الولايات المتحدة لاتزال تتحدث عن قضية المواد المتفجرة . النيويورك تايمز أجرت مقابلة مع خبير فى المتفجرات الذى حدد بأن الكمية التى تم كشفها من الممكن أن تدمر الميناء وأجزاء كبيرة من المناطق السكنية المجاورة .

مصادرة الشحنة أضعفت أيدى الممولين لصناعة السلاح الخفيفة للهاجاناه ، الذين كانوا بحاجة ماسة إلى المواد المتفجرة لإنتاج الطلقات والقنابل ، هذه كانت أيام صعبة جداً .

المواجهات الدامية بين اليهود والعرب كانت أمراً يومياً ، مخازن السلاح كانت خالية ، فى المطارات الصغيرة رفرفت طائرات مدنية قديمة ، التى منعت من الاشتراك فى المعارك الجوية ، أو قذف تجمعات العدو ، كان من الصعب أن يملأ هذا الفراغ ، بسبب الحظر الأمريكى على شحنات السلاح للمنطقة ، الذى ألزم أيضاً بريطانيا وفرنسا .

لمدة أسبوع ركض وايزمان فى الموانى البحرية المختلفة فى أمريكا ، بحث ورأى ولاحظ حاملات طائرات من بواقى الحرب العالمية الثانية ، الذين رسوا كالحجر بلا قيمة ، بجوار أرصفة مهجورة ، فى النهاية بشر أرزى أنه وجد بالضبط ماكلف به أن يجد ، كليهما أسرع فى الطيران إلى نورفولك فى ولاية فيرجينيا وسافروا إلى قاعدة الأسطول، بجوار الرصيف رست حاملة الطائرات « أتو »، وقد بنيت فى نهاية الحرب، ولم تشترك فى العمليات الحربية ، كانت لديها إمكانية شحن أكثر من ١٠٠ ألف طن، أسطح سفن، أكشاك لـــ ٢١ طائرة ومكان لـــ ٨٠٠ فرد من الطاقم ، لقد أعجبتنى ، هل ستشتريها ؟

قضية السفينة « أكزاكوتور » أظهرت على عناوين الصحف الرئيسية محاولات اليهود فى (أرض إسرائيل) جمع معدات عسكرية فى الولايات المتحدة ، على الرغم من الحظر الذى فرض بالقانون ، الإف . بى . أى أنشأ منظومة عملاء خاصة من أجل متابعة المبعوثين من (أرض إسرائيل) الذين تجولوا فى أنحاء أمريكا وبحثوا بشغف عن السلاح ، المتبرعون اليهود الذين وجدوا أنفسهم فجأة مطاردين ، فهموا أن من الخطر فعلاً المساهمة الآن لتدعيم جيش يهود (أرض إسرائيل) .

فى قاعدة الأسطول فى هاواى تجمعت مئات الرشاشات الثقيلة أمام ضوء النهار وبرد الليل ، وكانت جديدة تماماً، لم يتم استخدامها فى الحرب العالمية الثانية ، مبعوثو الشراء وبتوجيهات من « هنج جرينشفن » ، ضابط التسليح السابق فى الجيش الأمريكى ، اقتحموا القاعدة فى ظلام الليل عدة مرات ، أخرجوا رشاشات وهربوها فى سفينة شحن قديمة إلى كاليفورنيا ، من أجل إخفائها هناك حتى يتم التوصل إلى طريقة لنقلها إلى البلاد .

لم يكن من السهل إخفاء ١٥ طن من الرشاشات المعدة لإطلاق النيران، لكن فى كاليفورنيا كان هناك عدد كاف من المتطوعين الجاهزين للمساعدة . أصحاب الكراجات ، مصانع صناعية ، مخازن ملابس ، فلل فاخرة وآخرين ، وزعوا بينهم هذه الشحنة .

أثناء عمليات البحث الدؤوبة من أجل التوصل لسفينة تحمل هذه الشحنة الضرورية إلى (أرض إسرائيل)، اتضح أنه ترسو فى المكسيك السفينة المناسبة، شحنة كبيرة من السلاح تم شحنه عليها، وقد أوشكت أن ترفع المرساة ، بذلت كل الجهود حتى تبحر السفينة مبكراً قدر الإمكان، وأن تصل إلى موانى البلاد فى وقت غير متأخر عن يوم ١٥ مايو، كانت المشكلة فى إيجاد طريقة لنقل السلاح بأسرع ما يمكن من كاليفورنيا إلى المكسيك .

قابلها مستقبلوها ، خيرة الطائفة المحلية من المطار، هم مروا بشوارع عرفتها ،

اجتازوا النهر فى قلب المدينة ، ومروا على مدخل مدرسة درست فيها ، فى المعبد اجتمع حوالى ٢٠٠ شخص ، صعدت جولدا على المنبر الصغير مرتدية ثياب رمادية بسيطة ، هى عقدت مقارنة بين القوة المؤثرة للجيوش العربية التى تهدد بغزو البلاد وبين قوة الهاجاناه الضعيفة ، هل علمتم أنه لاتوجد لدينا دبابات ، مدافع وطائرات ، وهذه الأشياء متواجدة لديهم بكثرة ، تردد صدى كلماتها المؤثرة فى القاعة .

نحن سنحارب حتى آخر قطرة من دمنا ، لأن هذا البلد هو وطننا وليس لدينا مكان آخر نذهب إليه .

فى حالة نفسية سيئة انغلق « شفيمر» فى غرفته ، أفرغ زجاجة ويسكى رخيصة وطار وراء أفكار خلاقة، لم يكن لديه شك فى قلبه أنه من المحظور التنازل عن الطائرات، هم سيستطيعون أن ينقلوا السلاح الى البلاد بسرعة وفعالية ، هى بمقدورها أن تتحول فى ساعة الضرورة إلى قاذفات قنابل، بعد ساعات قلائل نبت الحل فى عقله، هو أجرى اتصالا مع « أرزى » : نحن سنصلح هذه الطائرات بأنفسنا ، قال « أرزى » لم يعرض أسئلة ، كان له شعور بأنه يستطيع ان يعتمد على «شفيمر»، بعد الحرب العالمية تجول فى الولايات المتحدة مئات الطيارين والفنيين الذين تخرجوا من سلاح الطيران الأمريكى ، والذين بحثوا عن عمل ، شفيمر بحث عن المتميزين بينهم واستأجرهم من أجل إصلاح طائرات «الكونستليشن» وخمس طائرات نقل إضافية من طراز سى ٤٦ (كوماندو) ، لقد استأجر منطقة صغيرة فى مطار بوربنك فى كاليفورنيا ، نقل الطائرات إلى هناك وطواقم الفنيين – وأعطى إشارة بدء العمل .

كان « سموزا » رجلاً غنياً، كانت له حظيرة بقر ومزارع قصب السكر ، حرص على الحصول على نصيب معلوم من السوق السوداء على العملة الصعبة التى كانت مزدهرة فى بلده ، ولم يرفض أبداً اقتراح رشوة سخى ، استيقظ من نومه بعد ساعة طويلة ، وكان النوم يداعب جفنيه عندما تحدث مع أرزى ، لكن جوابه كان إيجابياً،

مقابل ٢٠٠ ألف دولار ، سيتم إيداعهم فى حسابه البنكى الشخصى فى نيويورك، وافق على إصدار جواز سفر دبلوماسى لأرزى باسم الدكتور « دون حوزيه أرزى » .

دور جولدا مائير فى جمع التبرعات :

فى ظل الشعور بالكرب الشديد، وتضييع الوقت الثمين ، خرجت « جولدا مائير » فى رحلة لجمع التبرعات فى الولايات المتحدة ، كان من الواضح لها أنها تقف امام فشل ذريع ، أيضاً دافيد بن جوريون الذى كلفها بهذه المهمة ، لم يكن متفائلاً بشكل خاص ، وهو قال لها بصراحة أن المهمة من الممكن أن تفشل ، ولكن كليهما كان يعلم انه لايوجد سوى خيار المحاولة .

سافرت « جولدا » فى سيارة الوكالة اليهودية من المطار إلى مكاتب مبعوثية الهاجاناه فى فندق « بورتين » فى نيويورك ، رجال البعثة عملوا تحت غطاء عاملى الوكالة، هم اجتمعوا فى إحدى الغرف وعلى كأس قهوة وفطائر عادية تم شراؤها من السوبر ماركت المجاور ، سمعت منهم كلام لم يمتص مخاوفها ، هذا ليس هو الوقت المناسب لجمع التبرعات لـ(أرض إسرائيل) ، قالوا عملاء الـ« أف . بى . آى» متواجدون فى كل مكان ، يبحثون عن اليهود الذين يشترون السلاح او يمولون شراءه، الصحف تستفيد من تكرار قضية « أكزاكوتور »، وعلى الرغم من تقدير نضال يهود (أرض إسرائيل) ، المجتمع الأمريكى يشعر بحيرة ليست سهلة امام العمل السرى فى المواد المتفجرة ، وبكل أنواع السلاح تحت سمعه وبصره .

لكن رحلة التبرعات كانت ضرورية الآن أكثر من ذى قبل ، الأموال من أجل شراء السلاح نفذت تماماً تقريباً ، منظمة المؤيدون « هماخون » التى أقامها رودولف سونفورن ، رجل الأعمال من نيويورك ، فى أعقاب لقاء مع بن جوريون قبل ذلك بسنتين ، أحصى حقاً ٥٧ يهودى من الأثرياء ، لكن حتى منهم سيكون من الصعب إخراج مبالغ حقيقية فى هذه الأيام الصعبة .

سمعت « جولدا » هذا التحفظ ولكنها لم تتنازل .

قالت « جئت لجولة تبرع » وأنا لا أنوى العودة للبلاد بدون أن أجمع المال ، نحن بحاجة إلى أية نقود ، سأل مستضيفوها ماذا تعتزم أن تجمع ؟ .

قالت « عشرين مليون دولار على الأقل » ، وكل العيون فتحت من الدهشة .

ذيل الحماس الذى خلفته وراءها « جولدا » احتوى طوائف يهودية كثيرة فى أنحاء الولايات المتحدة ، إلى جانب التبرعات المادية ، بدأوا أيضاً فى جمع احتياجات اعتقد مساهموها أن سيكون لها استخدام فى البلاد ، أنشأ معهد سونفورن جمعية باسم « مواد لأرض إسرائيل » وسجلها قانونياً لدى الجمعيات الأمريكية ، الحظر سرى فقط على المعدات العسكرية ، ولم يكن هناك منع على جمع أى معدات أخرى وإرسالها إلى (أرض إسرائيل) .

لكن فى بداية ١٩٤٨ فى أمريكا ، لم تستطع الأموال وروح التطوع فى التزود حتى ببندقية واحدة من أجل القوة المدافعة فى (أرض إسرائيل) ، بسبب الحظر الذى تم الحفاظ عليه بحرص ، فى تل أبيب قال بن جوريون بعصبية إلى « يجآل يادين » :

« أنا أسأل نفسى إذا كان الأمريكان لا يهمهم إذا خسرنا الحرب.

تاجر الخردوات « ليوندر وايزمان » لم يصدق أن « أرزى » يتحدث بجدية ، عندما قال ببساطة ، كأن ذلك أمراً لا شيء فيه : أنا أريد أن تشترى لى حاملة طائرات .

« من أجل ماذا ؟ ماذا ستفعل بحاملة طائرات ؟ أليس لايوجد لديكم حتى طائرة حربية واحدة تستطيع أن تقلع منها .

«ظننت أنك أكثر ذكاء ، قال « أرزى » فى يوم الخامس عشر من مايو سيخرج البريطانيون من البلاد ، كل القيود على النقل البحرى (لأرض إسرائيل) ستلغى دفعة واحدة ، أنا أريد أن تصل فى نفس اليوم إلى ميناء حيفا شحنة سلاح كبيرة، فقط حاملة الطائرات تستطيع أن تحمل كميات كبيرة بهذا الحجم من السلاح .